**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المحاضرة الأولى مدخل إلى دراسة الشعر المغاربي**

**تمهيد:**

يعد الأدب المغربي من أهم الإنتاجات التي عرفتها الأمة العربية، وأخص ما في هذا الأدب الشعر المغاربي، حين اتخذه الشعراء متنفسا للتعبير عن خلجات النفس، وآمال وطموحات الشعوب المغاربية، فضلا عن مجموع القضايا التي مرت بالمغرب العربي، وهو ما سنفصل فيه على مدار محاضرات هذا المقياس.

**أوّلا-مفاهيم أولية:**

**1-مفهوم الشعر اصطلاحا:**

عرّف الشعر اصطلاحا بمفاهيم مختلفة، ومنها قول أحد النقاد فيه: الشعر هو : "كلام موزون مقفى"**1**. لقد بنى صاحب المقولة المفهوم على قطبين هامين رأى فيها هذا الناقد أساس انبناء الشعر وهما الوزن والقافية.

في حين أننا نقرأ مفهوما آخر يقول صاحبه فيه: " كلام موزون مقفى يدل على معنى"**2**،لقد حافظ صاحب المفهوم على الوزن والقافية كما أضاف عنصرا جديدا ليبني به مفهوم مصطلح الشعر، إنه المعنى، إذ لا يكفي للكلام أن يكون موزونا ومقفى وإنما يشترط فيه عنصر الدلالة على معنى يكون ناتج هذا الكلام وهو ما ينبغي أن يكون متوفرا فيه، وإن اختلت الشروط الثلاث لا يصح أن يقال عن هذا الكلام شعرا.

**2-التحديد الجغرافي للمغرب العربي:**

المغاربة جمع يدل على السكان، في حين المكان يطلق عليه لفظة المغرب، ومنه نستنتج الفرق بين المغاربة والمغرب، أن الأولى تطلق على اسم الجنس، أما الثانية فتطلق على الرقعة الجغرافية\*.

في حين تتحدد الرقعة الجغرافية للمغرب العربي – حسب أحد الدراسات- على أن "المغرب العربي فضاء طبيعي وجغرافي واقتصادي وثقافي، إنه واجهة العالم العربي على المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، وإحدى مناطق العالم حيث تبدو القضايا الجيوسياسية اليوم شديدة التعقيد، وبالرغم من كل التقلبات التي عرفتها مساحته وحدوده بين الجزر والمد على امتداد تاريخه، فهو يمتد من بنغازي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى نهر السينغال والصحراء الكبرى جنوبا، ويكوِّن مجموعة سياسية جهوية تتألف رسميا ابتداء من فبراير 1989م، من خمس دول ذات سيادة هي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا..."**3**. ومن الملاحظ عليه هنا، هو أن تقريبا أغلبية الدراسات تتفق في هذه الماهية الجغرافية والتضاريسية والبشرية والسياسية للمغرب العربي، إذ لا خلاف حولها.

**3-التحديد الزّمني للشعر المغاربي المدروس:**

يمكننا ضبط التحديد الزمني للشعر المغاربي المدروس معنا هو الشعر المعاصر وبدايته مثلما هو متعارف عليه في الأغلب الأعم بدءا من تاريخ نهاية الحرب الكونية الثانية 1945م، ويمتد إلى يومنا هذا، ويصطلح عليه بالفترة المعاصرة، ومنه الشعر المغاربي المعاصر.

**ثانيًا-انطولوجيا الشعر المغاربي:**

عرف المغاربة الشعر إلا أن الأنموذج لديهم قد عول على المشافهة، فكان منه مجموع الأغاني الشعبية التي كانت تغنيها الأمهات والجدات للأطفال، وبما أنهم قد عولوا على المشافهة الأمر الذي جعل هذا الإرث الشعري عرضة للمحو من الصدور بموت أصحابه أو بتقادم الأزمنة، في الوقت الذي غاب عنهم فيه التدوين بسبب ضعف لغة الأمازيغيين وهم السكان الأصليين المتنسبين إلى هذه الرقعة الجغرافية**4**.

وبدخول الفاتحين المسلمين هذه الأرض ونشرهم للدين الإسلامي فيها حملوا معهم خطابهم الشعري المشرقي فاستهوى السكان الأصليين مما جعلهم ينظمون على منواله موضوعات وخصائص فنية، وقد تحقق ذلك بدءا من القرن الثالث الهجري، واستمرت إنتاجية الشعر بعد هذا مع ألمع شعراء المنطقة حيث يطالعنا في القرن الخامس الهجري –وهذا على سبيل التمثيل- ابن رشيق القيرواني وأشعاره التي جمعت في ديوان وقد ضمت مختلف الأغراض الشعرية، فضلا عن شعر النقائض التي أسس لها في المغرب العربي وقد خاصم فيها ابن شرف القيرواني، ولم تتوقف هذه الخصومة الشعرية إلا بموت ابن شرف.

ومن شعراء المغرب العربي نذكر الثغري (760هــ) وروائعه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومما قاله في هذا الباب نستشهد بقصيدته "سر المحبة بالدموع يترجم"، ومما جاء فيها:

ســــــــــــــــــــــــــرّ المحبة بالدموع يترجم فالدمع إن تسأل فصيحٌ أعجمُ

والحال تنطق عن لسان صامت والصمت يصمت والهوى يتكلم

كم رمت كتمان الهوى فوشى به جفــــــــــــــــــــــــــــــــــــن ينم بكل سرّ يكتم

...........

متنــــزل الوحي الذي يتلى فلا سمــــــــــــــــع يمل ولا لسان يسأم

يــــتنزل الروح الأمين به على خير الورى صلوا عليه وسلموا

هو رحمة الله التي يهدي بها في الخلق بالحق المبين ويحكم

لمـــــــا بدت أنوار مولده خبت نــــــــــــــــــارٌ لفارسَ لم تزل تتضرم**5**

لقد أبدع المغاربة في نظم الشعر، فعرفوا المولديات، الموشحات، الأزجال، القصيدة العمودية، وقد احتفوا بخصائصها الثيمية والفنية مثلما كانت عليه في المشرق المنبت الأول للشعر العربي، كما أن الشعر المغاربي قد أخذ شيئا من خصيصات البيئة المغربية من حيث الموصوفات بالنسبة لشعر الوصف، وبعض المعاني وكذا بالنسبة للموضوعات وهذا بحسب الراهن المغربي، ومن الأمثلة التي نضربها نذكر شعر الاستصراخ، وذلك بسبب التحرشات الإسبانية على شمال المغرب العربي، ومن هذا نستشهد بقصيدة، أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن وهو يستصرخ بابا حسن، فقال:

نــــــــــــــــــــــــــــــادتك وهران فلب نداها وانــــــــــزل بها لا تقصدن سواها

واحـــــــــــلل بهاتيك الأباطح والربا واســـــــــــــــــتصرخن دفينها الأواها

قد طالما عبثت بها أيدي العدا حتى استباحوا أرضها وحماها

وتصرفوا في المسلمين بما غدا أعـــــــــــجوبة لمن اغتدى يرعاها**6**

ومع العصر الحديث تطالعنا كوكبة من الشعراء المغاربة وهم يحتفون بشعر هذه المرحلة بخصيصاتها وعلى رأسها الاستعمار الأجنبي لأراضي المنطقة وتصدي الشعراء لهذا الغزو الأجنبي وعلى رأسهم مفدي زكريا، محمد العيد آل خليفة، الشابي، وغيرهم كثير من الشعراء الذين اتخذوا من الكلمة أداة لمحاربة الاستعمار الأجنبي الدخيل على أراضي المغرب العربي.

وتبقى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العصر المعاصر وقد عرفت بشعرائها وخصيصاتها الثيمية والفنية، وذلك حين تمايز الشعر المغربي بمرونته في التعبير عن كل قضايا المغاربة وفي مختلف الأسيقة من مرحلة الاستعمار والمطالبة فيها بالحرية والاستقلال، إلى مرحلة التعمير والبناء بعد استقلال بلدانه إلى فترة العشرية السوداء، وأخيرا مرحلة الربيع العربي.

كما تمايز الشعر المغربي بارتباطه بالهوية ومحاولة تجسيدها في المتن الشعري على مستوى اللغة، الصورة الشعرية، الموسيقى. وأخيرا لم يفوت الشعر المغربي على نفسه أن يكون أداة للتعبير عن خلجات النفس وما يجيش فيها من مشاعر وأحاسيس.